



عام بلا الأسد

في الظاهر، لم يتغير الكثير. الاسم الاول طبعاً، لكن الرموز الاخرى كلها بقيت، وان اكتسب بعضها صفة "الحرس القديم" مقارنة بوجهه بدت صاعدة دون ان يؤذن لها الانضواء تحت تسمية "الحرس الجديد"، او انها لم ترتض هي ذلك بنفسها، خفراً او مناورة، باعتبار انه في الظاهر لم يتغير الكثير. ومع ذلك، شأن ما بين الامس واليوم. فثمة شيء تغير في سوريا لا يمكن انكاره، ولو كان بسيطاً وعصياً على التوصيف. قطعاً، لم يصل الامر الى تركيبة السلطة ولا حتى بعد الى اعماق المجتمع. الا ان ما حصل حتى الآن، وان ظل محصوراً في بعض النخب المدنية المثقفة، فقد بلغ حدّاً يسمح بالقول ان زمناً ولى الى غير رجعة، وان افق الحياة العامة في سوريا بات هو نفسه متغيراً بعد عقود من الثبات او الجمود.

لم يتغير الكثير اذاً، لكن ثمة شيئاً تغير يمكن تلمسه وربما تعريفه ولا يمكن بعد تفصيله. ما يمكن تلمسه هو ان الافواه انفتحت، وتحديداً لتتطرق بمطلب التغيير فأفصحت في الوقت نفسه عن غياب الرضى امام ما كان سائداً ولا يزال. ما يمكن تلمسه هو ان النخب السورية استعادت بسرعة مذهلة قابلية النقد والتحليل رغم عقود مضت في الثلاجة، وبالنسبة الى الكثيرين من المثقفين في سجون لم تخل حتى الآن من كل نزلاتها، وان ضرورة مراعاة الواقعية السياسية عند هذه النخب لم تقض الا في حالات نادرة الى تسويات "شخصية" مع السلطة، ودائماً من باب "اعطاء الفرصة" وليس الكسب الخاص.

ما يمكن تلمسه هو ان حاجز الخوف عندما يسقط لا يعاد بناؤه بسهولة، فإذا حدث ان صدرت ارادة سلطانية بقبل منتديات الحوار، استمر الكلام حراً نقدياً، او اذا تعرض مثقف في سوريا (او لبنان) لاضطهاد، علا الصوت كما لم يعل يوماً. اذا كان تلمس ما حصل سهلاً، وتوصيفه بدقة مستحيلاً، فإن تعريفه في منزلة بين منزلتين، حده الاجابة عن واحد من سؤالين: تغيير؟ ام تغير؟ والحال ان الاجابة ليست بسيطة. فمن جهة، يصعب على الرئيس السوري الجديد وعلى كل اركان السلطة، بقديهما وجديهما، الافراط في استخدام كلمة التغيير تحت طائلة الارتداد على ثوابت عهد لا يزالون جميعاً يعتبرونه ذروة النجاح، وكيف لا يفعلون؟

ومن جهة ثانية، لا يقبل المنطق تغيب اي ارادة في التغيير الى حد يصبح معه محرك التغير غياب حافظ الأسد فحسب فيما السلطة التي بناها قائمة بقديهما وجديهما. طبعاً، لا يشك احد في ان رحيل حافظ الأسد افقد السلطة السورية كثيراً من تماسكها، كما يمكن استشعار ذلك من لبنان. ليس لأن الأب كان يملك رهبة يفتقر اليها الخلف، ولا لأن رئيساً سبعينياً اكثر حكمة بالضرورة من ابن الرابعة والثلاثين (والا لم تم تعديل الدستور؟)، وانما لأنه كان بلغ حالاً من الاستقرار في ادارته سلطة بناها هو، بينما يفترض من الوريث ان يتعامل مع تركة لم يساهم قط في مراكمتها ولا في دوزنة آليات عملها.

من هنا الصعوبة القصوى التي تكتنف علم "القاسيونولوجيا" هذه الايام حيث لا يعود المشاهد قادراً على متابعة لعبة متسارعة متبدلة تؤدي تارة الى أقول نجم كان بالامس صاعداً، وطورا الى عودة "حارس قديم" في ثوب حمامة سلام جديدة. فضلا عن كل من يصعب تصنيفهم في هذه الفئة او تلك



والاحتمالات التي يفتحها هذا التآرجح في لعبة الاوزان السورية (واستطراداً اللبنانية). تغيير؟ ام تغير؟ اقل ما يقال ان العام الاول المنصرم بلا حافظ الاسد لم يعطِ اجابة واضحة في ما يخص السلطة، فيما أثر المجتمع السوري من جهته الاحتمال الثاني، فبدأ يتغير من دون انتظار اشارة. عام بلا جواب، هذا يبقى معقولاً، وربما ضرورياً لمقتضيات اللياقة والسياسة معاً. لكن الاستمرار اكثر من ذلك في الحيرة قد ينتهي الى فرض اجابة لا تروق دعاة التغيير ومحركيه المفترضين. فمع بقاء التغيير يتيماً منزوياً، وكأنه مدعاة خجل، تفرغ الساحة امام التغير. والتغيرات على انواعها.

سمير قصير



Id-Reference	01-Pr-000459	
Media	(Support)	HC
Title		عام بلا الأسد
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٦/٨ 8/6/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	حافظ.اسد – بشار.اسد
	Locations	سوريا – لبنان
	Dates	
	Themes	سوريا – حرس.قديم – حرس.جديد – سوريا.نظام – نخب.سورية – سلطة.سورية – تعديل.دستور – مجتمع.سوري – قاسيونولوجيا – حكم.سوري – حافظ.أسد – بشار.أسد.
Subject		